***توحيد الأسماء والصفات***

***بحث فى : توحيد الصفات***

*إعداد / أحمد عبد الحميد مهدى*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

*ahmed.mahdey@mediu.ws*

**خلاصة هذا البحث فى : أهمية العلم بتوحيد الأسماء والصفات والإيمان به**

**الكلمات الافتتاحيه : الايمان ، التوحيد، الصفات**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة أهمية العلم بتوحيد الأسماء والصفات والإيمان به**

* ***. موضوع المقالة***

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن العلم بأسماء الله وصفاته أشرف ما اكتسبته القلوب، وأزكى ما أدركته العقول، فهو زبدة الرسالة الإلهية، وهو الطريق إلى معرفة الله وعبادته وحده لا شريك له.

وللعلم بتوحيد أسماء الله وصفاته والإيمان به أهمية عظيمة، ومما يدل على أهميته ما يلي:

أولا: أن الإيمان به داخل في الإيمان بالله  إذ لا يستقيم الإيمان بالله حتى يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته، وهو أصل التوحيد، والتوحيد في قلب المؤمن كشجرةٍ أصلها ثابت في قلبه علمًا واعتقادًا، وفرعها من العمل الصالح في السماء مرفوعًا ومقبولًا، قال الله : {ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ} [إبراهيم: 24]، والكلمة الطيبة في الآية الكريمة: هي كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله"، الدالة على الإيمان به .

من هنا؛ كان القول بأن معرفة أسماء الله وصفاته أصل التوحيد وأساسه الذي يستلزم أنواع التوحيد كلها ويتضمنها؛ فمن عرف أسماء الرب  أعطاه حق الربوبية، ومن عرف أوصاف الإله  أعطاه حق الألوهية وأخلص له العبادة.

قال ابن تيمية: إن معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول. انتهى.

ولتحقيق أصل التوحيد من العلم والاعتقاد كانت معرفة الأسماء والصفات من أول الفروض، وأوجب الواجبات؛ قال تعالى: {ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ} [محمد: 19]، وقال  لمعاذ > عندما بعثه لليمن: ((فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإن عرفوا الله...)).

فالعلم بلا إله إلا الله وما تتصمنه من تعريف بالله هو الأصل الذي يقوم عليه التوحيد؛ إذ لا تقوم شجرة الإيمان إلا على ساق العلم والمعرفة.

ثانيًا: أن معرفة توحيد الأسماء والصفات والإيمان به -كما آمَن السلف الصالح- عبادة لله  موصلة إلى مرضاته، فالله أمرنا بذلك، وطاعته واجبة؛ قال تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ} [مريم: 65]، فجعل تفرده  بالربوبية، واختصاصه بالأسماء الحسنى برهانًا قاطعًا على استحقاقه للعبودية وحده، وإبطال عبادة من سواه، فينبغي للعباد أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته، ويعرفوا ما يجب له وما يستحقه؛ فيوحدوه ويحمدوه ويمجدوه، وبها يدعونه ويسألونه ، وبمعرفتها يعرفون ما يحب وما يكره؛ فيتقربون إليه بفعل ما يحب واجتناب ما يكره، وهذه هي العبادة التي تعبدهم بها الله .

وبمعرفة أسماء الله  وصفاته يتحقق الذل والخضوع في أكمل درجاته، وتتحقق المحبة في أعلى صورها وكذا في سائر العبادات، فكلما كان العبد بأسماء الله وصفاته أعرف كلما كان لله أعبد؛ فالمعرفة الكاملة الصحيحة تستلزم الاهتداء، إذ إن الاعتراف والإقرار اللذان هما أصل المعرفة، هما المحركان على باقي الطاعات؛ فإذا وجدَا بعثا وحركا على غيرهما من العبادات، ولا يكون وجود الصلاة مثلًا أو الصيام أو الحج مع جحد الباري .

فالأسماء الحسنى هي وسيلة الدعاء، و((الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ))، قال : {ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} [الأعراف:180]؛ فمن عرف أن الله سميع دعاه وناداه: يا رحمن ارحمني، ويا توَّاب تب علي، ويا رزاق ارزقني، ويا وهَّاب هب لي.

وهي كذلك وسيلة حمده والثناء عليه وذكره  كما جاء في ثناء المصطفى  على ربه : ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّومُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ...)) الحديث.

وهذا من أعظم العبادة التي أوجبها الله على العباد، فالأسماء الحسنى والصفات العلى، مقتضية لآثارها من العبودية ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، أعني: من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها.

فالإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها مبدأ الطريق ووسطه وغايته، وهو روح السالكين وحاديهم إلى الوصول ومحرك عزماتهم إذا فتروا ومثير هممهم إذا قصروا.

ولما كانت معرفة الله  بهذه الأهمية والمكانة من الدين؛ فقد تطلعت إليها النفوس، وسعى إلى تحصيلها كل عاقل، وتفاوت العباد في حظهم منها تفاوتًا كبيرًا. والعبادة تنقسم إلى مراتب، وهي راجعة إلى يقين القلب، وخضوعه وذله لله  وتفاوت الناس في هذه العبادة بحسب تفاوتهم في معرفة النصوص النبوية وفهمها والعلم بفساد الشبه المخالفة لحقائقها.

قال العز بن عبد السلام -رحمه الله-: وقد يحصل التحديق إلى هذه الصفات من غير تذكر ولا استحضار، والعارفون متفاوتون في كثرة ذلك وقلته، وانقطاعه، ومداومته، فهم في رياض المعرفة يتقلبون، ومن نضرات ثمارها يتعجبون، ولا تستمر الأحوال لأحد منهم على الدوام والاتصال لتقلب القلوب وتنقل الأحوال، والغفلات حجب على العارف مسدلات، إن أسدلت على جميعها نكص العارف إلى طبع البشر، فربما وقعت منه الهفوات والزلات؛ فإذا انكشف الحجاب عن بعض الصفات ظهرت آثار تلك الصفة وأينعت أثمارها.

وأكمل الناس في هذا الباب من تعبد الله  بجميع أسمائه وصفاته، ونال قصب السبق في عبودية الله بها، وهذه منزلة تحقيق العبودية بالأسماء والصفات.

قال ابن القيم -رحمه الله-: وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم، أو التعبد بأسماء التودد والبر واللطف والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء... ونحو ذلك، وهذه طريقة الكمَّل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن، قال الله : {ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} [الأعراف: 180].

ثالثًا: الإيمان به كما آمن السلف الصالح طريق السلامة من الانحراف والزلل الذي وقع فيه أهل التعطيل، والتمثيل، وغيرهم ممن انحرف في هذا الباب.

رابعًا: الإيمان به على الوجه الحقيقي سلامة من وعيد الله، قال تعالى: {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} [الأعراف: 180].

خامسًا: أن هذا العلم أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق، فالاشتغال بفهمه، والبحث فيه اشتغال بأعلى المطالب، وأشرف المواهب.

وتتفاوت المعارف في الشرف بذاتها ومتعلقاتها وثمراتها وبما هي وسيلة إليه، ومعرفة أسمائه  وصفاته أشرف المعارف؛ لأن متعلقاتها أشرف المتعلقات، وثمراتها أفضل الثمرات، وهي وسيلة إلى أسمى الغايات: فمتعلقها هو الله البارئ  والبارئ أشرف المعلومات؛ فالعلم بأسمائه أشرف العلوم، وثمراتها: التوحيد والإيمان أفضل الثمرات، وغايتها: تحقيق العبودية لله  وهي أسمى الغايات.

والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم؛ فإن المعلومات سواه : إما أن تكون خلقًا له تعالى، أو أمرًا كونيًّا أو شرعيًّا. ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه وصفاته؛ فأمره كله حسن فيه الرحمة والإحسان في كل ما يدعوهم إليه وما ينهاهم عنه. وخلقه كله بالحكمة والقدرة والعلم فهو الخالق البارئ الحكيم العليم . وكما أن كل موجود فبإيجاده، فكذلك العلم بكل معلوم تابع للعلم بأسمائه وصفاته، وكل العلوم والمعارف تبع لهذه المعرفة مرادة لأجلها.

قال ابن القيم: وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها، فهو أصلها كلها، كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده للملك الحق المبين، ومفتقر إليه في تحقق ذاته، وكل علم فهو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم، كما أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه وموجده، فمن عرف الله، عرف ما سواه، ومن جهل ربه، فهو لما سواه أجهل.

والعلوم إنما تتفاوت في الفضل بعد معرفة الأسماء والصفات بحسب إفضائها إليها؛ فكل علم كان أقربَ إفضاءً إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته فهو أعلى مما دونه.

سادسًا: أن أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي، وإنما كانت أعظم آية لاشتمالها على هذا النوع من أنواع التوحيد.

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله : ((يا أبا المنذر؛ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر؛ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: {ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ} [البقرة: 255] قال: فضرب في صدري وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر)) أي: هنأه بالعلم، وعظم الآية بسبب تضمنها لأسماء الله وصفاته؛ فآية الكرسي أعظم آية في كتاب الله ليس فيها تشريع، ليس فيها حلال أو حرام، وإنما هي من أولها إلى آخرها تعريف بالله .

سابعًا: أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لأنها أخلصت في وصف الله .

عن عمرة بنت عبد الرحمن -وكانت في حجر عائشة زوج النبي  عن عائشة <: ((أن النبي  بعث رجلًا على سَرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ{ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ} [الإخلاص: 1] فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي  فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي : أخبروه أن الله يحبه)) رواه البخاري.

ثامنًا: أن الإيمان به يثمر ثمرات عظيمة، وعبوديات متنوعة، ويتبين لنا شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

**المراجع والمصادر:**

1. **تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم، المدينة المنورة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, عام 1416هـ.**
2. **علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، بيروت، الطبعة العاشرة مؤسسة الرسالة، 1417هـ.**
3. **محمد بن خليفة التميمي ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، الرياض، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى، 1419هـ.**
4. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، 1998م.**
5. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية, 2003م.**
6. **هبة الله بن الحسن اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق ، أحمد سعد حمدان، الرياض، دار طيبة، 1982م.**
7. **محمد بن إسحاق بن خزيمة ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع،1987م.**
8. **محمد ناصر الدين الألباني ، مختصر العلو للعلي الغفار ، المكتب الإسلامي، 1980م.**
9. **محمد بن صالح بن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق: أشرف عبد المقصود، القاهرة، مكتبة السنة، 1993م.**
10. **إبراهيم البريكان ، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، الدمام، دار ابن القيم، 2004م**
11. **عمر سليمان الأشقر ، الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1992م.**
12. **أحمد عبد الرحمن القاضي ، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات "عرض ونقد"، الرياض، دار العاصمة، 1995م.**
13. **عبد الرحيم السلمي ، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، الرياض، دار المعلمة للنشر والتوزيع، 2000م.**